لعنة روزنيما

كـم مـن ليـالي أسـير وحـدي في درب لـم يكـن لـه نهايـة، شـاردة بخيـالي وذهـني مشـتت، غـير مكترثـة بالطريـق، أسـير والأنـوار تلافحـني، وضوضـاء الطريـق تصرعـني، لا أُبـالي بصفـير السـيارات والإشـارات، أسـير دون واجهـة ودون هـدف فقـد مللـت الأهـداف.

أسـير بشـوارع مظلمـة كظـلام طموحـاتي وآمـالي أتنفـس شـهيق خيبـة الآمال والطموحـات، لـم أعـد أسـكن جسـد أدميـة أصبحـت شـبح يجـول بالطرقـات، لـم أعـد أعـرف ذاتي فجسـدي أصبـح نحيـل وخـصري لـم يعـد رشـيقًا ممشـوقا، بـل أصبـح هشًـا يشـبه عيـدان القصـب في موسـم حـارٍ شـديدٍ الحـرارة .

أسـير والدمـوع تتسـاقط مـني دون رحمـةً أو رأفـةً بمقلـتيَّ، صـار الدمـع منهجهـا وغذاءهـا الأوحـد، أصبحـت روحًـا فقـط روح هائمـة حزينـة شـاردة معذبـة بـالأرض، لا أمتـك بجسـدي إلا روحـي والـذي أتمـني مـن بارئهـا أن يسـتردها ويريحـني.

كـم مـن أحـلامٍ وأدتهـا؟! وكـم مـن أمنيـات ماتـت بـين أيـدي القـدر والنصيـب الـذي أوجبـه خالقـي علـيَّ وعـلي أمثـالي مـن الفقـراء الذيـن لا يملكـون إلا قـوت يومهـم ؟! وأحيانًـا لا ..مـن قـال أن لا يغفـوه أحـد مـن دون أن يقتـات

عشاءه!! فبعضنا عشاءهم الدعاء والاسترجاء .ليس لطعام فقط بل لكلمة طيبة فقط تحلو مرار الأيام، ولكن لم يجدوا كأن الدنيا أرادت سجنهم بفقرهم، وربط شِرَّاكها عليهم بنقطهم السوداء في مكان واحد ومحاط عليهم سياج ضخم مصمَّد لا يستطيعه الصعود أو اختراقه، وإذا تم يسقطوا بالهاوية مثلي أنا...

أنا روزنيما أنا الطفلة التي كانت تحلم بدميَّة تسمي «بالباربي» ولغلاء ثمنها كانت تصنع لها والدتها دمية أفضل منها -من وجه نظر الأم بالتاكيد- دميَّة بالقطن وخرقات القماش أو بفضلات ما يتركه زباؤنها الذين يعطوها عن كل فستان المليمات التي لا تسْمن ولا تشبع من جوع ؛أنا التي حرمت من أبسط حقوقي كطفلة تلهو وتمرح مع أولاد الجيران .

كنت منذ نعومة أظافري أعاون أمي على العمل، وأتحمل معها المشقة من أجل سد أقل القليل من احتياجتنا، كان لي أخت وأخ طفل صغير، وكان لي والدًا بالطبع كان لي يومًا أبًا يحملني حينما جئت إلى هذه الدنيا باكية، ومؤكدًا أنه مسح على شعري وجبهتي يومًا ما، ربما ربت على كتفي يومًا، لم أتذكره ولم أشعر يومًا بوجوده، ولكنه من المحتمل أنه كان موجودًا بداخلنا فقط، لم يكن له وجودًا ماديًا محسوسًا فهو دائمًا روحه معلقة بأشياء بالسماء، وبأُناس توفاهم الله.

كنت أشرد ليلًا بأفكارٍ كثيرةٍ لتخرجني من فقري المدقع، وتزاحمت الأفكار بداخلي وتصدعت برأسي الأمنيات، شعرت أني وحدي بهذا العالم الغريب، ذو المشاعر القاتمة لا يحمل أي حنانًا لأمثالي أو يرأف لحال فتاة مثلي منكسرة لا يعطيها فرصة دون الطمع بجسدها وشرفها، ولكن أهداني عقلي بأن أتعلق بحبال العلم، وأنل من الثقافة القليل كي أواجه صعوبات هذا العالم، وجدتني بصدد من أين أوفر كتب أطلع عليها وأنا لا أملك

قـوت يومـي، تذكـرت مكتبـة ضخمـة لجارتنـا الطبيبـة الـتى تعطـف علينـا مـن حـين لأخـر وزوجـه القـس يوسـف المـلاح.

ذهبـت إليهـا بحجـة أخـذ مقاسـاتها مـرة أخـرى، ودلفـت لحجرتهـا وأخـذت مقاسـاتها ولـم تهبـط عينـي عـن مكتبتهـا الزاخـرة بأمهـات الكتـب، وكل أنـواع المجلـدات حقًـا إنهـا مكتبـة ضخمـة. فكـرت في طلـب بعـض الكتـب لقراءتهـا، ولكـني خشـيت رد فعلهـا ربمـا كان يجرحـني أو يُهـني، تصدعـت الأفـكار داخـلي ونهشـني الـتردد حـتى قـررت التهـام الكتـب دون أن تـدري وأمحـي أي إهانـة قـد أكتسـبها مـن مصارحـتي لهـا، بالفعـل أخـذت عـددًا مـن الكتـب بشـكل عشـوائي، وأخفيتهـا بحقيبـتي وودعتهـا وعُـدت لبيـتي وينتابـني شـعور الخـوف مـن معرفتهـا بسرقـتي لكتبهـا أو يعـرف القـس بفعلـتي، وكـم دئنـت نفـسي لفعلـتي والتهمـني ضميري حـتى الصبـاح، لـم أكـن أغفـو بسـبب فعلـتي حـتى مـر يومـان ولـم يحـدث شـيئًا ولا اكتشـفت فعلـتي .

فى منتصـف الليـل أخـذني الفضـول أن أطلـع عـلى الكتـب الـتي أصبحـت أقتنيهـا، وبـدأت أنظـر إليهـا وانتابتـني حـيرة أيـن أبـدأ وكيـف أختـار، أصبحـت لا أدري، أمسـك الكتـب وأنظـر لعنواينهـا وفهرسـها حـتى بـدأت ألعـب مـع ذاتي « لعبـة الحـادي بـادي « مـن شـدة الحـيرة وشـدة جهـلي حـتى اخـترت كتـاب كان شـكله قديـم ، ومهترئـة أوراقـه بعـض الـشئ لفـت نظـري أنـه كان أقـدم الكتـب الـتي سرقتهـا ونظـرت إليـه متحدثـة : لمـاذا أبـدأ بهـذا الكتـاب القديـم سـوف أعيـد اللعبـة وأختـار آخـر؟! ولكـن شـعرت بشـعور غريـب وفضـول أغـرب أن أطلـع عـلى هـذا الكتـاب وأصبـح قـوة جـذبي كبـيرة تجـاه الكتـاب غـير طبيعيـة لا أسـتطع مقاومتهـا تعـدت مرحلـة الفضـول.

نظـرت للكتـاب وبـدأت ألمسـه بحنـان وكأني وجـدت كـنزًا ثمينًـا أفـرد ثناياتـه، أزيـل الغبـار المتراكـم الـذي يسـكن أوراقـه، وكأني أحييـه وأعيـده مـن عبـق

التاريخ. بدأت أفتح الكتاب فوجدت مقدمة طويلة وأنا أكره المقدمات ولا أجيد قراءتها وأنا مبتدئة، حاولت تجاوز المقدمة خصوصًا أن ورقة شديد الصفار وغير مريح للعين، ولكن وقع نظري على هذه الجملة

« افعل يا بني آدم ما شئت، واترنح بين الخطايا والذنوب فسوف ألحق بك، ولن تفلت مني ستأتيني بإرادتك دون أن أدعوك، ستأتيني اشتياقًا لعذابي وألمي؛ لأنك بدوني مُهلك وستفنى مع التراب، أما معي فستخلد ولن يمسك أذى معي .....

شعرت بقشعريرة تخللت داخلي حتى وصلت شعري، تساءلت ما هذه الجمل ؟! وما هذا الكتاب؟! وبما يحوي؟! ولماذا وقع عيني على كلمات تخيفني وترعبني؟! وما الشعور القوي الذي بداخلي ويجذبني نحو هذا الكتاب؟! أصبحت في حيرة من أمري بأن أترك هذا الكتاب الذي أخفني مقدمته وشكله أيضًا وبأن أترك حواسي وعقلي لقوة جذب هذا الكتاب، فشعور قوي يجذبني نحو الاطلاع عليه، شعور فاق الفضول وأصبح أمرًا داخليًا يدفق الدماء لعقلي، ويؤمرني بالاطلاع عليه، كنت بالغسق والكل نيام، وحدي أنا وذاك الكتاب، نظرت بأعين الجميع كلهم بأحلامهم إلا أنا بحيرة ما بين أن أستسلم لأوامر داخلية، وما بين أن أترك الفكرة برمتها وأرجع لحياتي ولكن انتصر الكتاب عليَّ، وأخذت أفتتح ورقاته وأقرأ كلماته وأحرفه بعين واعية ساهدة لا تعرف النوم.

اتخذت قرارًا أن أتخطى المقدمة حتى لا يزيد ارتباكي وأقرأ، دخلت بالفصل الأول وجدت كلمات سلسة، والقصة بسيطة لا يوجد شيئ يجعلني أخشى منه وأثناء قراءتي أصبحت أسخر من الكتاب ومن ذاتي أني أعطيته اهتمامًا أكثر من اللازم، حتي شرفت على الانتهاء من الفصل الأول؛ وبقرب نهايته استشهد الراوي بقصة طفلة بالعاشرة من عمرها، كانت

تسير بالدروب ليلًا تبكي وتتأوه وتبحث عن دميتها بكل الدُّروب ذاكرًا اسم صاحبة الدميَّة «روزنيما» توقفت لبضع لحظات لكي أستوعب ما سبب ذكر هذا القصة وما ربطها بما قبلها، ولكني لم أستوعب فاستئنفت ووجدت الراوي يذكر أنها دمية عزيزة لديها، فتذكرت ذاتي عندما كنت بعمرها وأتمنى دميَّة كي ألهو بها، وجدتني أفرك عيني من شعوري بالنعاس وأغلقت الكتاب بالتو واللحظة، وقمت أضع الكتاب بالمكان الأمين على الرف، وجدت قارورة المياه فشربت وحين أرتشف المياه نظرت ببقايا المرايا المعلقة على حائطي فوجدت فتاةً صغيرةً شعرها منسدل يلطخ طين الأرض جبهتها، زائغة العين وكأنها تبحث عن شيئ ما .

سارت قشعريرة بجسدي جعلتني أصرخ بشدة، ونظرت خلفي كي أتأكد بأني لم أتهيأ ذلك، أو أن عقلي الباطن يصور لي ما قرأته، ولكن بالفعل وجدت الطفلة تنظرإليَّ بعطف كي أساعدها على البحث عن دميتها . تصلبت مكاني وأنا أفرك عيني كي أصدق ما أراه ولكني كلما فتحت عيناي وجدتها أمامي، ونظرت حولي فوجدت أمي وأخي وأختي في سُبات عميق ..كيف ذلك؟! لم يشعروا بصراخي ولم يشعروا بتلك الحركات أو بوجود الطفلة المرعب، تصلبت مكاني أنظر إليها بارقة العينين من شدة دهشتي، كيف ذلك كيف تتجسد كلمات من وحي خيال الكاتب حقيقة أمامي متجسدة؟! لقد هيأت عقلي أن تشابه أحداث قصته مع واقعي وأنا طفلة من محض الصدفة، ولكن كيف أجد ما أقرأه أمامي ؟!

أصبحت الطفلة تقترب مني فيشتد بي الخوف أكثر وأكثر حتى أصبح لا شئ يفصلني عنها، وصرت أتصبب عرقًا ويرتفع الأدرينالين داخلي فهويت أرضًا مغشية عليَّ، ولكن وجدتها تربت على كتفي محدثة لي بصوتها الطفولي لا تقلقي سوف أنتقم منهم أشد انتقامًا، وسأجد دميتي وستجدين أنتِ حياتك،

ولكن لا بد أن تختاريه كي تظفري بالحياة الأبدية وتحققي آمالك، نظرت إليها وأنا أرتعش وأجاهد بإخراج صوتي كي أتساءل عن من تتحدث؟ ومن هي؟

ولكن سرعان ما وجدت أمي تفيق مع دخول خيوط الشمس حجرتنا، نظرت إليَّ تتساءل لماذا أرتمي أرضًا وأترك سريري بجوار أختي؟! وجهت نظري مسرعة إلى الطفلة ولأمي باستغراب واندهاش، كيف لا تراها وهي أمامها، قامت أمي بالربت على كتفي قائلة :ما بكِ ولماذا يتصبب العرق منك ووجهك أصفر؟! ما بك أتشعرين بمكروه ؟! لم أجيبها ولكن وجدت الطفلة تقترب من أمي وتنظر إليها وابتسمت ابتسامة ساخرة تتم على الانتقام وعدم الرضا، ثم اختفت .

أقسم أني رأيت الطفلة حقًا وأنها لمستني وأنه حدث ذلك ستتهمني أيها القارئ بالجنون أو المس، ولكني أروي الحقيقة، لم تكن أوهامًا أو من نسج خيالي، أرجوكِ لا تبني أدلتك بجنوني بأن والدتي لم ترَ الطفلة، لأنها ستراها أمي قريبًا ولا أريد أن أحرق لك الأحداث وأميتك خوفًا من قصتي، إنك أيضًا إذا قرأت أحداثي سوف تراها، كما أنا رأيت ماضيَّ ومستقبلي .

أؤكد لك أنك سترى أشباحي، ولكن وحدك من ترى لن يراهم غيرك وستقع مثلي في شِراك الشك في قواك العقلية، استمر أيها القارئ في السخرية والنيل مني، ولكن ستصدق بأحداثي حتمًا ستؤمن عندما تراهم يجولون حولك كما فعلوا معي، سيصطحبوك بأي مكان تذهبه ولا تستطع الخلو بذاتك دونهم، فهذا عهد بينك وبينهم، سأكمل لك أحداثي، ولكن عدني بألا تسخر مني وتتفه ما أسرده، سأكمل برغم ما أشعره بأنك تسخر مني، ولكن إذا نظرت حولك الآن ستجدني أنا روزنيما أمامك الآن، أؤكد لك بأن أحداثي حقيقية وليست أوهامًا، لا تخف مني يا صديقي لم أكن أقصد إخافتك، ولكن ربما أردت أن أتعرف عليك أو أشركك معي في رحلتي

مع كتابي الملعون، لا تنظر جانبيك أنا أمامك الآن أصطحبك داخلي أسيطر على تفكيرك بإرادتك، ورغم مخاوفك مني وما أخبره لك وما تسخره مني إلا أنك ستفعل مثلي تمامًا، وسوف تكمل كلماتي وتقرأ سطوري للنهاية، فالإنسان مُسير يا صديقي ويشتهى دائمًا المجهول، وإذا رجع به الزمان فلن يترك التفاحة الملعونة وسيستمع لكلام الأفعى، أنظر إلى روزنيما الطفلة تبحث عن دميتها تستطيع أن تساعدها، لا تسأل كيف لأنك بمقدورك مساعدتها بالفعل، لأن دميتها بالفعل جانبك وأنت تستحوذ عليها، ترى فيها آمالك وطموحاتك وكل ما تتمناه، ولكن تطمع وتتطلع إلى ما بأيدي غيرك، ولكن هذه الدميَّة ليست ملكك، فهي ملك روزنيما فقط كل حلمها أن تلهو بها، أعطيها لها بدلًا من أن تحكم عليك بالعذاب .

اهدئ أيها القارئ أشعر أنك توجست خيفةٌ مني وأنا كنت أمزح معك، أعلم أن دميتي ليس بجانبك، ولكن أردت أن أشاركك أحداثي لا أريد أن أتفه مكانتك بقصتي، فأنت شريكي أيضًا، ولا أطيل عليك سوف أكمل قصتي حتى لا تمل مني .

شعرت أمي بأن شيئاً غريبًا ينتابني واقتربت مني، ولكني فقدت النطق بشكل مؤقت، ليس بإرادتي ولكن بقوة غريبة منعتني بالتفوه بما حدث، شعرت أمي بأني ربما مصابة بحمى أو قد أصابني مسًا أو حسدًا، أرادت أن تذهب بي إلى القس بكينيستنا، ولكن فقت صباحًا أتحدث وأمارس يومي كالمعتاد ناسية منسية أمر أمس، وعندما جاء الليل أسرني فضولي ماذا سيحدث إذا أكملت صفحات الكتاب؟ بالفعل لم أقاوم فكرتي وذهبت إليه، ولكن اتخذت احتياطي وصليت محدثة باسم الثالوث الأقدس الأب والابن والروح القدس إلهًا واحداً ..آمين وفتحت الكتاب وأنا مطمئنة بأنه لن يُصيبني مكروه باسم يسوع المسيح .

قرأت الكتاب حتى وصلت إلى منتصفه ولا شئ غريب يحدث، ولا حدث جلل يقفني أو يمسني، كان يتحدث عن أحداث قديمة وعن حضارة الغرب، وكيف ثابروا وأصروا على تقدم بلادهم، وعن قيمة العمل ولا شئ حدث، أغلقت الكتاب وأنا متيقنة أني كنت متوهمة أمس بكثرة تفكيري وانشغالي بمستقبلي وتغيره، ربما قد أصابتني الهلاوس.

ذهبت ووضعت الكتاب موضعه، وأنا أنوي الانتهاء منه قريبًا؛ لأنه به معلومات ستفي الغرض وتثقفني كما أردت، وأثناء رجوعي بجانب أختي وجدتها تلف ملاءة كلها عليها فحاولت اتخاذ جزءًا كي أتغطى، وحركتها براحة فوجدتها مشنوقة برباط أمي برقبتها تتشبس بدميَّة بأظافرها، صرخت صراخات مدوية تفزع كل منطقتي، وهرولت لأمي كي أيقظها من سباتها، وترى ما حدث فلن أتحمل وحدي كل هذا وأخذت أحرك جسدها وهي لم تفيق ولا تسمع صراخي، فاصرخ قائلة :

أفيقي يا أمي فوجدتها تقول ما بك يا روزنيما؟! لماذا تصرخين هكذا ليلًا؟! هل رأيتي كابوسًا أزعجك ما بك انطق؟! وجدتها تحدثني وتنظر إلى جثة أختي المشنوقة ولا تبالي، أنظر إليها مندهشة، أحثها بصراخي انظري أختي مشنوقة بجواري ألا تريها نظرت إليَّ بتعجب، ثم ابتسمت ساخرة مني قائلة : نعم أراها يا روزنيما وأعلم أنها مشنوقة بملاءتي فما الغرابة ؟!.

برقت عيناي وأنا أنظر إليها بكل خوف كيف ذلك أفيقي يا أمي؟! أما زلتي نائمة!! أتري ما أراه !! أختي مشنوقة تمسك الدميَّة التى رأيت الطفلة أمس تبحث عنها، لم أسرد لكِ هذا كي لا تقلقي، ولكني رأيتها هي من فعلت بأختي ذلك.

اقتربت مني هادئة تربت على كتفي قائلة: يا بنيتي اهدئي ولاتتفوهي بأشياء غير حقيقية، ولا تظلمي أشخاصًا بادعاءتك الواهمه. كيف يا أمي

وأنتِ أقريتي تـوًّا بأنـك ترينيهـا مشـنوقة بالفعـل منـذ قليـل، لسـت مجنونـة قلتهـا بـصراخ شـديد وأنـا أشـد شـعري مـن شـدة رعـبي وخـوفي . ابتسـمت وقالـت: لا تصرخـي سـوف توقظـي أخيـكِ الصغـير لـن أكذبـك بـأن أختـك مشـنوقة أرهـا أمامـي بالفعـل، ولكـن أنـتِ تظلمـي الطفلـة الـتي رأيتيهـا أمـس لـم تفعـل بأختـك شـيئًا، ثـم اقتربـت مـني وأمسـكت رقبـتي بحنـو في بـادئ الأمـر ثـم نظـرت بعينيهـا البارقـة الـتي اتسـعت حداقتهـا بشـكل مريـب وظهـر ضـوءًا أحمـر دمـوي منهـا وقالـت :

أنـا مـن شـنقتها بيـدي - وأشـارت لِيديهـا - فهـي مـن كتبـت مصيرهـا بيديهـا وأصرت عـلى اختطـاف الدميَّـة مـن روزنيمـا فـكان يجـب قتلهـا، وبـدأت تضغـط عـلى رقبـتي حـتى انهـارت قـواي مـن شـدة الخـوف والصدمـة، لـم أشـعر بـذاتي إلا هاويَّـة عـلى الأرض الـتي أصبحـت الحـين أحـن لي مـن هـذا الحيـاة، شـعرت برغبـة أن تبتلعـني الأرض لا أريـد أن أفيـق، الخـوف تملـك مـني لـم أعـي مـاذا يحـدث؟ وكيـف هـذا ؟وهـل يعقـل مـا حـدث؟!

أشـعر أيهـا القـارئ أنـك بـدأت تشـعر بشـفقة تجاهـي، وأنـك بـدأت باقتنـاع أن تكمـل قصـتي كي تعِـي مـاذا حـدث؟ ومـاذا أعـني؟ ولكـن لـن أطيـل عليـك ولا عـلى ذاتي أيضًـا فأنـت دون أن تشـعر جلسـت عـلىَّ ويتـكئ ذراعـك عـلى قلـبي، وأخـشى أن تقتلـني وأنـت سـارح بقصـتي، نعـم تسـتطيع أن تقتلـني إذا أخبرتـك الطريقـة الـتي علمتهـا لتخلـص مـن أمـي، أعلـم إن سردتهـا لـك سـتفعلها معـي وتتخلـص مـني للأبـد وتسرتيـح مـن هواجسـي.

ولكـن لا تثـق بي كامـل الثقـة فأنـا ربمـا أخـذ احتياطـاتي تجاهـك، أعرفـك أيهـا القـارئ اللئيـم، تقـرأ لـكي تسـتمتع وتعيـش أحـداثي، وترتعـب بعـض الأحيـان، ثـم بعـد انتهـاءك مـني تنسـاني وتتركـني ورق لا قيمـة لـه يبتاعـني أحـد المحـلات، ولا كأنـك عشـت معـي لحظـات ألمـي، وخـوفي، وصمـودي، ولكـن

أخذت احتياطاتي ضدك بأنك دون أن تشعر قرأت عهدي وسجنتك داخلي، فلن تنساني سوف أشارك معك ما تبقى من حياتك شئت أم أبيت سألازمك لذلك افعل ما شئت لتتخلص مني .

استيقظت من غيبوبتي التي دامت يومين جاءت فيها الطبية للاطمئنان عليَّ بعد أن نقلتي أمي المشفى وأخرجتني بسرعة لعدم مقدرتنا على التكاليف، فقت فوجدت أمي وأخي الصغير بجانبها والطبيبة والقس يقرأ لي ويصلي من أجلي نظرت في جميع أرجاء حجرتنا ونظرت لأمي وأنا أشعر بالخوف تجاها، ثم صرخت قائلة:

أين هي؟ أين أخفيتيها ؟قالت لي طبيبة : عن من تتحدثي ؟! قالت أمي مسرعة عن دميتها، فهي أصبحت منذ فترة تسأل عن دميتها، وهي صغيرة وتبحث عنها باستمرار وتصرخ وتتعصب ثم ينتابها دوار وتسقط على الأرض لا تفِيق إلا صباحًا، ثم نظرت إليَّ نظرة حادة وقالت:

إلى متى ستعذبيننا بتلك الدميَّة القديمة يا روزنيما ؟ كيف نهون عليك كل ليلة بأن تملئي أيامنا صراخًا ؟ وتعذيبنا بسقوطك مغشي عليك كل ليلة، لن أتحمل هذا يا حبيبتي فأنا أحمل مسئولية كبيرة على عاتقي بعد أن تركنا والدك، وأصبحت أرعاكِ أنت وأخيكِ الصغير.صرخت بها قائلة: أين أختي كيف تشنقيها؟! كيف فعلتي ذلك بابنتك، هل أنتِ أمي أم شيطانة؟!

نظرت إليَّ الطبيبة بإشفاق بالغ، واقترب مني القس ووضع يداه حاملًا صليبه يصلي من أجلي كي أهدأ من أوهامي، بالفعل نعست وأنا أشعر بكل الناس ضدي، وأنّ أمي نجحت بأن يروا الناس أني قد مسَّ الجنون عقلي، وأني أصبحت أهزي، بتُّ أفكر بالانتقام من تلك الشيطانة التي تعيش معي بعباءة الأمومة، وقتلت أختي وحرمت الطفلة من دميتها.

وجدتني أهرول إلى الكتاب، وأفتح صفحاته ربما تأتيني الطفلة تعاوني فأتخلص من الشيطانة التي قتلت أختي وسلبت مني راحة بالي، وبالفعل قرأت بنهم أحداث الكتاب ولم أجد شيئًا يوقفني أو يشابه حياتي وكأني أقرأ بكتاب آخر تاريخي لا شئ يحدث، وأخذت أنظر أمامي وخلفي لا أجد شيئاً، كاد يصيبني اليأس فأكملت صفحاته حتى انتهيت بآخر ورقة؛ وكنت سأغلق الكتاب محطمة الآمال حتى رأيت إهداءً صغيرًا بنهاية الكتاب

« إلى ابنتي روزنيما التي تحملت تعبي وكدِّي بغربتي، كي أُكمل الدكتوراه وأنهي أبحاثي بكالفورنيا، وأعود محملًا بعلم غزير أفيد به أبناء وطني، أهدي إليكِ كل حرفًا سردته بكتابي المتواضع، وآمل من الله عز وجل أن ينجح كتابي لكي تفخري بوالدك ويقدم نفعًا عظيمًا للبشرية، وأرجو أن تغفري لي تقصيري تِجاهِك، وغربتي من أجل علمي، ولكن لا تخشي يا صغيرتي أن أنساكِ بزحمة أبحاثي ودرستي، سأرسل لكِ دميتك المفضلة التي صِرت مرارًا وتكرارًا تبحثين عنها، وستعيشين معها أحلى أوقاتك، أرجو أن لا يمسها سوءًا وتحافظي على عهدك معي وعلى هذا الكتاب .

ابنتي العزيزة ... وأرجو لك دوام الصحة والعافية، والدك الذي قتل أختك أمس وسوف يقتلك إن لم تقتلى والدتِك بسكين حالًا وهي نائمة دون أن يدري الجميع حتى تستعيدي دميتك .

نظرتُ خلفي وأمامي من هول ما قرأته مشدوهة متسائلة ما هذا ؟ وكيف الكتاب هذا يعطيني مؤشرات بما حدث أوسيحدث ؟ عقلي شتت حتى تجسّدت فجأة أمامي الطفلة ومعها سكين حاد بيديها اليمنى، ويديها اليسري معها دميتي، قمت مسرعة على دمية، ولكنها رفضت إعطائي إياها محذرة إن لم آخذ السكينة وأقتل أمي فلن تتركني حية، وسوف تقتلني وتأخذ دميتي للأبد.

لـم أفكـر لحظـة أخـذت السـكينة وطعنـت أمـي طعنـات كثـيرة أصبحـت تـصرخ مـن قـوة طعنـاتي، ولكـن كان يعلـو ضحـكات الطفلة وأفـاق أخـي الصغير عـلى رؤيـتي وأنـا أطعنهـا، وتناثـر دماؤهـا عـلى وجهـي، وأغرقـت يـداي بدمائها، فـزاد صراخ أخـي وهـو ينظـر إليَّ برعـب شـديد، فنظـرت إلى الطفلـة متسـائلة مـاذا أفعـل كي يصمـت، فأشـارت إليَّ بـأن أقتلـه مهـددة بأنهـا سـتحرمني مـن دميـتي إلى الأبـد خشـيت عـلى الدميَّـة، بالفعـل قطعـت رأسـه بـذات السـكين الـتي أغرقـت نصلهـا بدمـاء أمـي، وأصبـح الجـو شـاغرًا مـن الـصراخ والأنـين .

ابتسمت الطفلة واقتربت مني وربتت على كتفي وقالت :

الآن فـزتي بدميتـك الـتي حرمـوكي منها سـنوات طـوال، أصبحـت الآن ملكك ولا أحـد يسـتطيع سـلبها منـكِ، نظـرت إليهـا وقـد اطمأن قلـبي وأنـا أحتضـن دميتي، وشـعرت بسـعادة داخـلي بـأني حافظـت عـلى دميـتي الـتي أهـداني إياهـا والدي .

وبعـد احتضانهـا في صمـت نظـرت للطفلـة متسـائلة عـن كيـف أحافـظ عليهـا؟! ولكـن سرعـان مـا اختفـت ولـن أجدهـا أمامـي، نظـرتُ بـكل أرجـاء الحجـرة فلـم أجـد غـير جثـة أمـي هامـدة تجـري الدمـاء مـن حفـرات بجسـدها بفعـل طعنـاتي، ورأس أخـي بجانـبي عـلى الأرض وجسـده مـازال يـنزف دمـاءً امتلئـت الحجـرة بالدمـاء، وأنـا أجلـس عـلى الأرض أحتضـن دميـتي.

لا تعتقـد أيهـا القـارئ أني مجنونـة أو انتهـت قصـتي بذلـك لا، فقلـت لك أني سـألزمك ولـن تنتهـي مـني لأنـك قـرأت عهـدي، ولكـن لا تخـف أنـت لـم تشـاركني بقتـل أمـي وأخـي فأنـا فعلـت ذلـك بـإرادتي مـن أجـل إنقـاذ دميـتي، ولكـن لا تنـسي أنـك شـاهد عيـان عـلى أحـداثي ..

نعـم رأيـت كل شئ وتوقعـت معـي وأنـا أسرد لـك ولـم توقفـني أو تغـير بالأمـر شئ، أو أضعـف الإيمـان التوقـف عـن قـراءة قصـتي كي تنهـى هـذا

المأساة، ولكن أنت أكملت بضمير مرتاح وتريد معرفة نهاية قصتي بكل شغف وأريحية، لأنك إنسان اعتدد منذ الأزل قتل أخيك الإنسان، لست بريئً أيها القارئ فنحن ورثة القاتل وأبنائه وليس ورثة المقتول، مات هابيل دون حق ونحن أبناء قابيل؛ سأخبرك نهاية قصتي، ولكن عدني يا صديقي أنك لن تسخر مني مرة أخرى، ولن أكون مجرد حكاية تضعها بمكتبك عند الانتهاء من قراءتي ..

أنا أصدق قولك الآن وأصدق أنك لن تترك حكايتي فأصبحت صديقي بالفعل فإنك شاركتني أحداثي، وتألمت معي، وانتابك قشعريرة من هول ما حدث، ولكن اطمئن سأكون سخيَّة معك، وسأخبرك بالحقيقة دون أن تتكلف شيئاً ودون خوف أو تستسلم لتهديدي، فلا تخشى مني فكنت عطوفة معك، لأنك لم تقرأ العهد كله وقرأت سطرين منه فلا تخف سوف تنساني بمجرد الانتهاء من قصتي فلا شئ عليك، فالحقيقة أنت لم تفعل شيئًا، أنا فعلت كل شئ وكنت أقصد عدم قراءة مقدمة الكتاب حتى لا تتلوها معي وتقع في شباكي، ولا تستطيع الإفلات مني فقد يحوي المقدمة على طلسم شديد الإحكام يجعلك تحت أمري تنصاع لأوامري وأفكاري، أغفلت مقدمة الكتاب الملعون كي لا تتجرف بالقراءة معي، ولكن الآن أستطيع أن أطلعك عليَّ من باب الفضول ليس أكثر ولا أقل سوف يدهشك الطلسم عند قراءته، ولكن بعد قراءته لا تنسى أن تخبرني ما رأيك به.....

« بسم الله الرحمن الرحيم وصلِّ الله عليه وسلم ، أقسمت وعزمت عليكم يا ملوك الروحانية كل ملك ومن تحت لوائه يأتون إليَّ في حضرتي ويشموا دخاني ويقضوا حاجتي ويسحبوا قرة عيني ويعطوني البشارة بالنظر إليكم والتخاطب معكم ، تخرقت الحجب وانكشفت الستور وبرزت

الأرواح لأسماء الرب الخالق القدير الكريم الرحيم مسخر السماوات والأرض ومافيها، العليم الحي المميت أجب يا أيها السيد الكريم الجليل هملطمشعشيميال انتومن تحت يدك السيد طحيطمغيليال صاحب تاج السيد ميططرون، أستدعيكم بقوة من الله وبحق فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد احرقوا الحجب بيني وبينكم وأتوني بال ٧٢ قبيلة المؤذنة بالطاعة تحت دائرة الخاتم الأكبروخرق الحجب بيني وبينكم بحق طقطقوش، مهرقوش، عكشرخاش، برشهلوشا، عليهوش، شرشيم، هروش، مهروش، حج، برعياش، مواش، طقوش، شيعادث، ادعوكم بالسبع المثاني والقرآن العظيم أن تكشفو لي عن أنفسكم وتحرقوا الحجب بيني وبينكم بحق لا إله إلا الله ذل وخضع كل شئ له، وتقطعت الرواسي الشامخات لعظمته وذلت الرقاب لجبروتيه، وسجد كل شئ لروبوبيته طوعًا لأمره ولهيبته أتوني بأمر من عنده، ولكممل كرامة با رك الله فيكم الوحا، العجل، الساعة «

ضحكاتي تعلو أذنك الآن أيها القارئ اللئيم، الذي برغم إخبارك عني أثناء سرد قصتي، ولكنك يثيرك الفضول أيضًا، الآن بعد انتهاءك من قراءة الطلسم تفضل إلى عالمي دون رجعة.

تمت

إيمان حسين